

دور الصلاة في تحقيق السلام الروحي



◀- ماذا يمكن أن نجنيه من صلاتنا اليومية؟

إنَّ تكبيرة الإحرام (ا أكبر)، تختزن في داخلها شحنات هائلة ضدَّ الكثير من المضغرفات أو المثبِّطات والمخوِّفات.

وإنَّ (سورة الفاتحة)، بما تحتوي من مضامين الإرتقاء إلى مقام الخطاب مع صاحب الجلالة (ا تبارك وتعالى) تفتح دروباً واسعة وآفاق رحبة أوسع لما تتصوّر، خذ مثلاً واحداً فقط: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) (الفاتحة / 6-7).

إنَّك هنا تنفتح على طريق الخير والإستقامة والصّلاح ليس في بدء الإسلام بل من فجر الخليقة.. لأنَّ نقطة البداية فيه من هناك.. إنَّك تطلب الإلتحاق والإنخراط في الطائفة المؤمنة التي أنعم ا عليها بإيمانها حتى حازت مقام القُرب منه منذ آدم (ع) وحتى آخر إنسان صالح على هذه الأرض.

وإنَّك عندما تقول وأنت راكع: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ".. تعيش محلّاً في أجواء العظمة المتعالية على كلِّ الصغائر. إرتباط بالعظمة في أعظم مصادرها.

وحينما تسجد لتقول: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ".. تتراعى في العلوِّ المعنوي، الذي لا تطالُ أجنحة غير المؤمنين ذُراه.. فأنتَ (الأعلى) لأنَّك مرتبطٌ بـ(الأعلى).

وهكذا في كلِّ فصلٍ من فصول صلاتك ودعائك وأذكارك.. هناك إنفلات من (المحدود)، وسباحة في فضاء (المطلق).. هناك تمزيقٌ لشرنقة المادّة للتخليق في سماوات الروح.. لذلك كانت ركعتان يصلِّيهما المصلّي لا يحدث نفسه فيهما عن شيء من الدنيا، كافيّتان بأن تُحدثا إنقلاباً نفسياً هائلاً من جنبات روحه وشفاء نفسه.. جرّب ولا تيأس.. وحين تتمكن من أداء هاتين الركعتين، ستجد أنَّك في عالم آخر، أنَّك مخلوق آخر.. وما يُقال عن الصلاة يُقال عن سائر العبادات.

تؤكد دراسات روحية حديثة على أن الإنسجام أو التجانس مع المصدر، قادر على أن يهيك بلا حدود!!

إن هذا والذي تفوله ثقافتنا من أن الارتباط بالمصدر هو ارتباط بفيض العطاء الدائم المتصل الذي لا تنفذ خزائنه واحد: تأمل في (الفيض المعنوي اللامحدود) في نماذج أو عيّنات من النور المبين: (والذين جاهدوا فينا) (لنذهبهم من سبيلنا) (العنكبوت/ 69).

(ولوا أنهم آمنوا واتقوا) (البقرة/ 103)، (لنفتحننا عليهم بركات من السماء والأرض) (الأعراف/ 96)، (فقللت استغفروا ربكم) (إنه كان غفّاراً) (نوح/ 10)، (يُرسل السماء عليهم مدراراً) (ويُمدرهم بأموالٍ) (وبندين) (ويجعل لکم جناتٍ) (نوح/ 11-12)، (واتقوا الله) (ويُعَلِّمُكُمُ الله) (البقرة/ 282).

"عَبدي أطعني تكُن مثلي" "تقل للشيء: كُن فيكون" ... إلخ.

إن الذين تحدّثوا عن (الواقى المقدس) لم يتحدّثوا عن خرافة، فبعض ممّا هو قابل للإحراق حينما لا يحترق في النار التي تلتهم كل شيء.. لم يكن شيئاً مسحوراً! تذكر أن الطاقة المنخفضة، عندما تواجه طاقة أكثر ارتفاعاً يحدث لها تحول تلقائي، فلو لم يحدث لنا القرآن عن سلامة يونس (ع)، ونجاته من بطن الحوت، أما كنّا اعتبرناها قصةً من وحي الخيال ونسج الوهم، والإعجوبة الأكبر ليس في نجاة يونس (ع) فقط، بل بإمكانية نجاة كلّ اليونسيين الذين إذا كانوا في قلب الحوت.. قلب الموت.. قلب النهاية.. قلب التيه.. قلب المجهول، قلب الخطر الهائل، وحملوا معهم المصباح الذي حمله يونس.. مصباح النجاة.. الواقى المقدس: (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنا) (سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء/ 87).

أتاهم النداء الحاني.. والوعد الصادق.. والنجاة الممتدة قوارب نجاة وأخشاب إنقاذ عبر العصور (وَنَجِّينَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتُومِينَ) (الأنبياء/ 88)!! وعد صادق غير مكذوب.. ومَن أصدق من الله قتيلاً؟

هل تأكّدت الآن أنّنا لا نطلق الكلمات جزافاً، وأنّ الذين يتحدّثون اليوم عن الإمساك بمقبض الحافلة، أدركوا - مبكّرين أو متأخّرين - أنّك بدون المقبض.. تتأرجح.. تترنّج.. ثم لا تلبث أن تنكبّ على وجهك: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق/ 16)، (فإنّني قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الدّاعِ إذا دعانِ فليستَ بعبثٍ) (وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة/ 186)! (أَمَنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (النمل/ 62) ... "كُن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو!! والقائمة طويلة والمؤدّي واحد.►